

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نهاية العام ونهاية العالم

لشاهين الرحمن

الخطبة الأولى

الحمد لله العليم القادر، الذي هو ليل على النهار وللنهار على الليل مكوّر. أشهد أن لا إله إلا الله، وحده؛ لا شريك له - يعلم البواطن من الأمور كما يبصر الظواهر. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ لا نبي بعده فهو الآخر، الذي حذرنا من المسيح الدجال المكتوب بين عينيه «كُفْرًا»^(١). صلى الله على النبي الأمي، وعلى آله، وأزواجه، وصحبه، وجميع المؤمنين إلى اليوم الذي تُبلى فيه السرائر.

أما بعد: فيا إخوتي الأعزّة! أوصيكم ونفسي، أولاً، بتقوى الله في الأشهر الحرم. يقول جلّ وعلا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦/٩].

من هذه الأربعة: شهر ذي الحجة، الذي نحن فيه، وهو آخر الشهور الاثني عشر. واليوم آخر جمعة ذي الحجة، وآخر جمعة هذا العام. فكما أن العام قد انتهى، فكذلك العالم سينتهي. قال شاعر:

يسرُّ المرءَ ما ذهب الليالي وكان ذهابهنَّ له ذهاباً

هذه القيامة الصغرى؛ أما الكبرى، فقد أخرج البخاري (٣٣٤٦) ومسلم في «صحيحهما»

(٢٨٨٠) عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه وهو يقول: «لا إله إلا الله! ويل

(١) رواه البخاري (٣٣٥٥) ومسلم (٢٩٣٣).



للعرب من شرّ قد اقترب! فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه». وعقد سفيان بيده عشرة.
قلت: يا رسول الله! أمهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثرت الحَبَث».

فلا تغتروا بكثرة المسلمين عاماً تَلَوَ عام؛ إن الكثرة لا تدلّ على القوّة، وإن نهاية العام لا يؤدّي
إلى عيدٍ تحتفلون به. معاذ الله أن نغترّ بمرور الزمان فنكون من الظالمين. قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ اللَّذِيرُ فَذُرُوا
فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٥ / ٣٧].

وأما عند نهاية العالم، فإن الكثرة لا تكون للمؤمنين أصالة؛ بل، سوف تكون للروم. روى مسلم
في «صحيحه» (٢٨٩٨) عن المُستورد القرشي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تقوم الساعة
والروم أكثر الناس».

وروى (٢٩٠٠) عن نافع بن عتبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تغزون جزيرة العرب، فيفتحها
الله؛ ثم فارس، فيفتحها الله؛ ثم تغزون الروم، فيفتحها الله؛ ثم تغزون الدجال، فيفتحها الله».

فلا تلهوا، أيها المؤمنون؛ بل، تفكروا فيما مضى، واعتبروا؛ فإن طول الأمد قد يكون سبباً لقساوة
القلوب. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِي الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦ / ١٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي، ولكم، ولسائر المسلمين؛ فاستغفروه، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ

عَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ١٧ / ٢٥].



الخطبة الثانية

الحمد لله الأحد الصمد، خالق السماوات بغير عمد. أشهد أن لا إله إلا الله، وحده؛ لا شريك له - نهى في قرآنه عن قساوة القلوب من طول الأمد. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، القائل: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»^(١). والصلاة والسلام عليه، وعلى أهل بيته، وأزواجه، وجميع صحابته في قديم الأزل إلى آخر الأبد.

أما بعد: فأطيعوا الله والرسول في السر والعلن، ولا تؤثروا الحياة الدنيا على الآخرة. قال ربكم: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرَبْنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ٥﴾ [فاطر: ٣٥/٥].
ومن غرور الشيطان أن يوقعكم في اللهو حتى تمرَّ العصور. وفي التنزيل: ﴿أَلْهَبَكُمْ التَّكَاثُرَ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ٢١﴾ [الأنبياء: ٢١/٤٤].

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات. اللهم تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وأجب دعوتنا، وثبّت حجّتنا، واهد قلوبنا، وسدّد ألسنتنا، واسلّل سخائم صدورنا.

وانقلنا اللهم بالقرآن العظيم من الشقاء إلى السعادة، ومن النار إلى الجنة، ومن السخط إلى الرضا، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الإساءة إلى الإحسان، ومن الدل إلى العز، ومن الإهانة إلى الكرامة، ومن البدعة إلى السنة، ومن أنواع الشر كله إلى أنواع الخير كله، برحمتك، يا أرحم الراحمين.

(٢) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٩٧٧). انظر: «شرح مشكل الآثار» للإمام المحدث الفقيه المفسر أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج (١٥)، ص (٢٣١-٢٣٢).

